جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التربية الفنية
المرحلة الرابعة
المادة: تقنيات مسرحية

المحاضرة الرابعة: الاضاءة المسرحية

مدرس المادة: أ.م.د مزاحم خضير حسين

ـ نظرة تاريخية في الاضاءة:

يُعد المسرح أبا الفنون، والعرض المسرحي يتألف من مجموعة عناصر تتضافر فيما بينها لتشكل منظومة فنية؛ الإضاءة هي إحدى هذه العناصر، التي تغني العرض الفني بوجودها الفاعل وتؤثر في نجاح المشهد. ولا تأخذ الإضاءة المسرحية أهميتها إلا عبر التعامل الواعي والمدروس لدورها في العرض المسرحي؛ فهي إذاً لغة فنية لإضفاء الدلالة على الحالات الدرامية على تنوعها، وقد تطورت عبر الزمن إلى عملية مشتركة بين الفن والتقنيات العلمية حيث تعتبر الإضاءة عنصراً مكملاً لفنيات العرض المسرحى، ويغتنى العرض بوجودها الفاعل، ويؤثر على نجاح المشهد، ويضفى جاذبية خاصة على الصورة المسرحية التي يراها المتفرج، ولا تكتسب الإضاءة أهميتها من تعدد مصادرها ومفاتيحها أو من تطور تقنياتها بل من التعامل الواعي والمدروس مع كل مفتاح حتى لو اكتفى العرض كاملاً بثلاث نقلات أو أكثر أوأقل .

كان الاعتماد في بدايات الإضاءة المسرحية على الطبيعة ، إذ كانت المسارح مكشوفة وكانت الشمس هي مصدر الإضاءة الأول ، وقد كان العرض المسرحي يبدأ من الصباح ويستمر حتى غروب الشمس. وكان المسرح الإغريقي أول من بدأ باستخدام النار تعبيراً عن الزمن، وكان استخدام المشاعل دلالة على أنّ المشهد يجري ليلاً. ثم استخدمت الشموع في العصور الوسطى إضافة إلى الضوء الطبيعي. واستخدم ليون دي سولي في عام 1550 الإضاءة الشديدة تعبيراً عن حالة الفرح في المشاهد الدرامية والإضاءة الخافتة تعبيراً عن حالة الحزن.

وهناك فرق بين الإنارة والإضاءة

فالإنارة: يقصد بها أزالة الضلام من مكان ما وتجعل من رؤية المتفرج للمشهد أمراً ممكنا.أما الإضاءة المسرحية :هى استخدام مضدر ضوء صناعي يوجه على شكل معين ،وهي لغة فنية تصاغ بشكل مدروس ومحدد لإضفاء دلالة أو حالة نفسية محددة ومقصودة بحد ذاته.

ومع بدء التعامل الفني في تاريخ المسرح الحديث مع الإضاءة تحولت إلى عملية مشتركة بين الفن والتكنيك (الحرفية) فلا هي فن خالص ولا علم هندسى كهربائي خالص، فالإضاءة لغة بصرية تهدف إلى خلق جو معين يعيش فيه الممثلون والمتفرجون حالة مسرحية ذات معنى، وذلك يتأتى من خلال تحقيقها لوظائفها العديدة والحيوية،

-1الاضاءة في المسرح الاغريقي

في المسرح الاغريقي لم يكن هناك اي نوع من اهنواع الاضاءة بل كان المصدر الوحيد للاضاءة هي اشعة الشمس لان اغلب العروض المسرحة كانت تقام في النهار ولم يكن هناك اي مصدر من مصادر الاضاءة بل كان الاعتماد بشكل كامل على حركة الممثلين وازيائهم

-2الاضاءة في المسرح الروماني:

لم يكن المسرح الروماني بعيدان عن المسرح الاغريقي فقد استخدمت اشعة الشمس في عروض النهار واستخدمت المشاعل واللمبات المضاءة بالزيت لايحاء المشاهد الليلية في النهار واظهار المشاهد الليلية عن طريق المشاعل المضاءة بالزيت على جانبي ومقدمة المسرح

-3الاضاءة في مسرح العصور الوسطى

لقد بدأت الاضاءة الصناعية في العصور الوسطى، في غرف الكنيسة بعد ان كانت في الحقبتين الاغريقية والرومانية تعتمد على الاضاءة الطبيعية (اضاءة الشمس). وكذلك المسرحيات الطقسية الكنسية التي تقدم في باحات الكنيسة. يقوم المؤلف في العصر الاغريقي بكتابة المتطلبات الجمالية كافة التي تحتاجها المسرحية لتعزيز عناصر الجو، كما نجد في كلاسيكية (اسخيلوس) اجاممنون بشخصية الحارس الذي ينظر من فوق سطح القصر الى النار المشتعلة على قمم الجبال البعيدة. تلك التي تنذر بسقوط النظام، فضلاً عن الرقص والغناء لشعب اراكوس الذي ذهب ليحتفل بالنصر في الظلام الليلي الذي يتحدث عنها الحارس (المراقب). كله وهم لان المسرحية تعرض في النهار صباحاً كما هي قواعد التراجيديا الاولى.

واستمرت العروض الكنيسة في العصور الوسطى ما بين العرض داخل الغرف وما بين العرض في فضاء باحة الكنيسة. وبقي التصور الكنسي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر في ان (الله) هو خالق الضوء كما هو مثبت في الانجيل، وفي كهانة اليونان القديمة، واخيراً الضوء في البصريات لكشف الاشكال بمستويات مختلفة. ان مفهوم الضوء يرتبط دوماً بالاحساس به، والاكثر تأثراً هي الاشياء المادية التي يخترقها الضوء، والاعظم هو درجة النبل الذي يتضمنه. لذلك حددت اسبقية مكانه في الكهنوتية، والاسبقية في العناصر الاربعة المكونة للحياة والكون التي تتحدد بدرجة اضاءتها، فتأتي النار في البداية كونها حاملة الضوء (النار، الهواء، الماء، التراب)، وهكذا في كل عنصر يلاحظ الاسبقية فيه للضوء. فمثلاً ماء البحر، يأخذ ماؤه المضاء على السطح درجة نبل اعلى من الماء المظلم في الاعماق، وعلى الارض فأن الماس المشرق والذهب والفضة والاحجار اللماعة والزجاج له درجة اعلى في النبل من تلك التي تكون بعيدة او الاحجار الاعتيادية، وهكذا تنظم الالوان ايضاً في اسبقية من الكهنوتية تبعاً لدرجة اضاءتها.

لقد عرضت الفنون البصرية في القرون الوسطى، على انها ما بعد فيزياء الضوء، حتى ان الفنانين كانوا يؤمنون بما جاء من نصوص لاهوتية. وعد اللونان الفضي والذهبي اكثر الالوان اهمية لارتباطهما بالضوء وعلاقتهما بالاله والمسيح، كون الضوء هو الله عند مسيحيي العصور الوسطى ولا وجود للظلام في هذا العالم، وان الصورة تشرق بضوء غامض من ذاتها، ضوء لا يستعار من الشمس، ولا يمكن التعرف عليه او منحه شكلاً.

لقد اشتغل الفنانون على عرض الاضاءة في الصورة من خلال بناء نظام ضوئي يعتمد التدرج بطريقة الدوائر الضوئية المتنوعة، التي تبدأ من المركز على شكل كواكب ثم نجوم، توزع على محيط الكواكب، وقد جُسدّت تلك المفاهيم رسماً، في المسرحيات الطقسية (الدينية). وتعد طريقة توزيع الاضاءة بهذا الشكل ذروة التصميم في عهد الكنيسة الكاثوليكية، اذ كان يعوض المنظر المسرحي الذي تمثل الشموع الاساس في توزيع الاضاءة فيه، وان التراتيل الدينية نفسها مليئة بالرموز الضوئية، اذ تطفأ الشموع واحدة تلو الاخرى تعبيراً عن موت المسيح – وصولاً الى الشمعة الوحيدة التي في الاعلى، اذ كانت تترك مشتعلة من دون اطفاء وتجسد مسرحيات المعجزات والانبعاث بالضوء عن طريق اضاءة الكنيسة ثانية عندما يظهر رمز الانبعاث للمصلين. ان كلاً من ولادة وانبعاث المسيح هي نصر للضوء على الظلام. وقد اعتمد المسرح موتيفات خاصة يهيمن فيها الضوء على بقية العناصر، حتى لو كان المنظر رسماً فأن هناك "استخدام لمصادر الضوء داخل

المنظر المرسوم يظهر فيه هيمنة الضوء، واستخدمت الكنيسة الروسية في القرن الخامس عشر عرض مشهدين في آن واحد من خلال رسوم معاصرة متوازية في اثناء العرض. وتم ذلك مع المسرحيات التي تعرض داخل مسرح العلبة، الموسيقية منها والغنائية والممثلة، مع اضاءة متحركة داخل معمار الكنيسة. والرؤية هي لسبع كواكب ضوئية تدور حول الاله وتنعكس صورته الكونية على الكون كله فكانت الاضاءة المصنوعة من النار هي ذروة ما يشكل اضاءة المسرح في القرون الثلاثة، السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر. مثلاً، استخدمت الشموع في الجزء العلوي من خشبة المسرح بشكل متفرق مع ارضية مظلمة تقع خلفها لتظهر وكأنها نجوم في السماء وهي تمثل الوظيفة الرمزية لقدرة الاله على نمذجة الضوء، مع وجود غيمة تمثل المسيح، وتعد الشموع مناره الداخلي الذي تهتدي به البشرية وهذا يدلل على قدرة المصممين في تلك الحقبة في معالجة المشاكل الناجمة من ضعف التكنيك، وفتح مجال للرؤية المستقبلية في مجال معالجة المسرحيات الاوبرالية بتقنية تستوعب المشاكل التي كانت تقف عارضاً امام تقديم تصاميم ضوئية جيدة، وحلت الاضاءة في احايين كثيرة بديلاً عن الرسم على القماش او حتى الديكورات المصنعة .

-4المسرح الايطالي في عصر النهضة:

في اضاءة المنظر والصالة اكد المهندس المعماري (سيبستيانو سيريليو 1545) ان المؤلف يتعامل مع خشبة مسرح وصالة، وتبعه باضافة الجانب الانساني على تلك العملية كل من (ليون دي سوميه 1556-1565)، و (انجلو انجكسنر 1598) والمهندس المعماري والميكانيكي (نيكولو سباتيني 1637) وبعض اعمال المهندس المعماري الالماني (فورتن باخ 1627-1663) والقواعد التي ارساها في المسرح الايطالي وخصوصاً في جلوس المشاهدين والمنظر المسرحي في البدايات المبكرة للقرن السابع عشر. واستخدم هؤلاء جميعاً الاضاءة الصناعية في انجاز المؤثرات المنظورية. اذ اصبح بامكانهم ،بناء قصور عدة وقلاع متنوعة، فضلاً عن معرفة جيدة في طريقة توزيع اجهزة الاضاءة وتنظيمها، ولاسيما الداخلية منها، لزيادة المنظور الايهامي، لقد حقق المصممون الذين جاءوا بعدهم في القرن التاسع عشر انجازات هامة بالاستفادة من لهيب النار وحركته المرتبكة في ايجاد مؤثرات جميلة ولاسيما في خلق اجواء الغبار الذهبي، الذي يظهر نعومته وانسيابية حركته وارتعاشات الضوء من خلاله، وعزز ذلك بالالوان والاشكال المرسومة على الملابس، التي أوحت بالحياتية بمرور الضوء عليها في استمرارية حركته، وعد النفط الابيض (الكيروسين) والغاز المصدرين الرئيسين في الاضاءة في تلك الحقبة الزمنية على الرغم من الازعاجات التي تولدها من دخان وحرائق. كما هي اضاءة الزيت والشموع والمشاعل التي سبقتها، ولكنها فتحت افاقاً رحبة للمؤدين في الاقتراب اكثر من المشاهدين لاسيما حافة الخشبة قدر المستطاع فضلاً عن تأثير اضاءة الصالة واهميتها في عناصر المنظر المسرحي على خشبة المسرح وتحديداً في مواقع توزيع اجهزتها للسماح بظهور الاشارات والايماءات، وتعد تلك من الاجزاء المساعدة لعملية التمثيل

-5الاضاءة في القرنين السابع عشر والثامن عشر)الاضاءة الكهربائية(

لقد اعتمد المسرح على الايهام بالمنظور رسماً، بشكل كبير على الاضاءة الصناعية، مستخدماً ما قدمه (الكاردنيال ريجلو وموليير) في القصر الملكي عام 1641م وفي فندق (البيركوني) وفي مسرح (باريس) عندما اعيد بناؤهما عام 1640م. واستخدمت اكثر من طريقة في العرض بالاضاءة

الصناعية، مستقاة من العصور الوسطى، ولاسيما في آلية عمل الاجهزة وميكانزماتها العامة على الرغم من استخدام اضاءة النهار لسنوات في مسارح باريس الى ان بدأت العروض تقدم في المساء، معتمدين اضاءة الشموع وزيادة اعدادها في الشمعدانات لزيادة شدة الاضاءة وكثافتها على خشبة المسرح، علماً ان المسارح التي تقدم في فضاءات مفتوحة، تلك هي المسارح التي تعتمد ضوء النهار في فصل الصيف وتتوقف عن العروض في فصل الشتاء.